رحلة اولياجلبي من ملاطية الى الموصل
مصدراً لدراسة الأوضاع الأجتماعية والأقتصادية في الدولة العثمانية

أ.م.د. هشام سوادي هاشم
رئاسة جامعة نينوى

تاريخ الاستلام تاريخ القبول
٢٠١٢/٣/٧ ٢٠١٢/١١/٧

الملخص

يعتبر اوليا جلبي أشهر الرحالة العثمانيين على الإطلاق وتحتل رحلته الواسعة مكانة مهمة في الأدبيات التاريخية العثماني ، قام أوليا جلبي بالترحال لمدة خمسين عاما زار فيها العديد من المدن والولايات داخل الدولة العثمانية و خارجها؛ من شرق الأناضول والبحر الأسود والرميلي، إلى بلاد الشام وفلسطين والعراق والحجاز ومصر والسودان والحبشة؛ فضلاً عن رحلاته إلى النمسا وهولندا والسويد والدنيمارك وإسبانيا، وسجل ما شاهده في مؤلف مشهور أسماه "أولياجلبي سياحتنامة سي" والذي يقع في عشر مجلدات ضخمة . والحقيقة تحتل كتب الرحلات أهمية بالغة في رفد الدراسات التاريخية والجغرافية بمعلومات مهمة عن المناطق التي مر بها الرحالة، ومن هنا نجد ان رحلة أوليا جلبي وفرت مادة خصبة لدارسي التاريخ لا سيما الحديث منه؛ من خلال المادة العلمية التي سجلها في رحلاته عن المدن التي مر بها، وعن طبيعة المجتمعات التي أقام بها وطبقات السكان وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، كالمناسبات والأعياد والأزياء واللهجات والعناصر المعمارية للعمارة الخدمية الموجودة في المدن. فضلاً عن ذكر النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة وما يرتبط بها من منشآت مكملة للعملية الاقتصادية. الأمر الذي يعطي لهذا النمط من الكتابات أهمية في توفير نصوص ومعلومات تاريخية اغفلت عنها كتب التاريخ السياسي.

تحتل كتب الرحلات أهمية بالغة في رفد الدراسات التاريخية والجغرافية بمعلومات مهمة عن المناطق التي مر بها الرحالة، موفرين مادة خصبة لدارسي التاريخ لا سيما الحديث منه؛ من خلال المادة العلمية التي سجلوها في رحلاتهم عن المدن التي مروا بها، وعن طبيعة المجتمعات التي أقاموا بها وطبقات السكان وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، كالمناسبات والأعياد والأزياء واللهجات والعناصر المعمارية للعمارة الخدمية الموجودة في المدن. فضلاً عن ذكر النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة وما يرتبط بها من منشآت مكملة للعملية الاقتصادية. الأمر الذي يعطي لهذا النمط من الكتابات أهمية في توفير نصوص ومعلومات تاريخية اغفلت عنها كتب التاريخ السياسي.

مما يجعل الباحث المعرفي بحاجة إلى الاستعانة بهذا النوع من المصادر لتشكيل صورة الحدث التاريخي الذي يدرسه. وخلال العهد العثماني نستطيع أن نقسم الرحالة إلى قسمين هما: الرحالة الأوربيون (الأجانب)، والرحالة العثمانيين (المحليين)؛ الذين تسميهم الدكتورة ثريا فاروقي (النخبة العثمانية)، وهم أكثر أهمية من الرحالة الأوربيين لأنهم كانوا أكثر التصاقاً واندماجاً بالمجتمعات التي كانوا يمرون بها لأنهم كانوا جزء من النسيج الاجتماعي العثماني[١].

وأشهر الرحالة العثمانيين على الإطلاق هو اوليا جلبي، ولد اولياجلبي بن درويش محمد في استانبول في ٢٠ آذار ١٦١١ في حي اونكبيان، وتلقى في بداية عمره تعليماً دينياً في مدارس العاصمة، فدرس القرآن وتفسيره وتجويده لمدة سبع سنوات قبل أن ينتقل للدراسة في مدرسة القصر العثماني للخدمة الداخلية (أنده رون) التي تأسست في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ -١٦٤٠)؛ وفيها درس اولياجلبي علوم القرآن والحديث والأدب واللغات اليونانية والعربية والفارسية. فضلاً عن المنطق والرياضيات وأصول وتقاليد القصر العثماني وقواعد البروتوكول ومختلف الفنون[٢].

وبعد إنهائه الدراسة عين اولياجلبي في قصر السلطان العثماني مراد الرابع: الا انه بسبب شغفه بالرحلات ورغبته الملحة بالترحال ومشاهدة أمكنة جديدة، لم يبق طويلا في القصر مختارا عالم السفر والترحال. ويورد اولياجلبي رواية طريفة أوردها كانت السبب في اختياره طريق الرحلات، حيث يذكر انه شاهد حلما غير حياته ودفعه الى عالم جديد فيقول "... حلمت في ليلة عاشوراء من شهر محرم سنة ١٦٣٠ أنني اصلي في جامع آخي جلبي، عندما رأيت رسول الله (ﷺ) أمامي اضطربت من جلال الموقف وبسبب المفاجأة التي سيطرت على مشاعري وبدلا من ان اردد امامه "شفاعت يا رسول، اذا بي اقول سياحت يا رسول الله.. في تلك اللحظة اقترب مني من بين الجموع سعد بن ابي وقاص قائلا لي: انطلق

كالسهم والرمح في بلاد الله وسجل كل ما تراه في المدن والبلدان التي ستمر بها والحوادث الغريبة التي تصادفك واكتب عن مآكل سكانها ومشربهم وأطباعهم وعاداتهم"[٣].

قام أولياجلبي بالترحال لمدة خمسين عاما زار فيها العديد من المدن والولايات داخل الدولة العثمانية و خارجها؛ من شرق الأناضول والبحر الأسود والرميلي، إلى بلاد الشام وفلسطين والعراق والحجاز ومصر والسودان والحبشة؛ فضلاً عن رحلاته إلى النمسا وهولندا والسويد والدنيمارك وإسبانيا، وسجل ما شاهده في مؤلف مشهور أسماه "أولياجلبي سياحتنامة سي" والذي يقع في عشر مجلدات ضخمة[٤].

خصص المجلد الأول من الرحلة للحديث عن سعة مدينة استانبول وضواحيها. وفي المجلد الثاني تحدث عن مدن بورصة وباطوم وأزمير وطرابزون وأذربيجان وجورجيا. أما المجلد الثالث من الرحلة فقد تحدث فيه اولياجلي عن مدن دمشق وحلب وفلسطين والقدس وشمالي بلاد فارس وأرمينيا. في حين وصف في المجلد الرابع مدن ملاطية وديار بكر وبدليس وان والموصل وبغداد والبصرة وتبريز. وأكمل تلك المعلومات في المجلد الخامس حينما وصف مدن البصرة وان وهنكاريا وروسيا والاناضول والبوسنة وصوفيا. وتحدث اولياجلبي في المجلد السادس عن رحلته إلى ترانسلفانيا والبانيا واوجفار والمجر وبلغراد والجبل الأسود وكرواتيا. في حين كان حديثه في المجلد الثامن عن معالم العاصمة استانبول لا سيما ((بخجة سراي)) ومدن مقدونيا واثينا وجزر الدودوكانيز. أما المجلد التاسع الذي حمل عنوان الحج إلى مكة، تحدث فيه اولياجلبي عن رحلة الى مدن جنوب الأناضول وبعض المدن السورية وصولا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، التي أسهب في ذكر معالمها المقدسة وتوقف في المجلد العاشر والأخير من الرحلة عن مصر مع (ذيل تاريخي) فتحدث عن مدن القاهرة والاسكندرية ومصر العليا والسفلى والحبشة[٥].

والمتبع لمنهج اولياجلبي في سرده لوقائع رحلته يجده كاتباً خيالياً، وذا ولع بكل ما هو مدهش وغريب، فهو يفضل الأسطورة على الحقيقة التاريخية المجردة، فينغمس في كثير من الأحيان وفي مواقع مختلفة من رحلته في وصف الأمور بخيال مبالغ فيه دون أن يكون هناك حدود يقف عندها. والذي أرضى به حاجة طلاب المعرفة العثمانيين في عصره، للتسلية والتعليم، فنجده في سرده للحوادث يستخدم أسلوباً قصصياً معتمداً على لغة عامية بسيطة مع استعارات مفخمة للجمل مستعيناً بالتعابير المنمقة[٦].

ويمكن لنا أن نتوقف عند بعض النصوص التي أوردها في رحلته والتي نستطيع أن نستشف منها أسلوبه القصصي البسيط في طرحه ومعالجته للمشاكل الاجتماعية التي شاهدها في رحلته مما دفع أحد الباحثين المعاصرين إلى اعتبار كتابه (سياحتنامه) مصدراً مهما في تأسيس تاريخ القصة التركية[٧].

يذكر اولياجلبي عن شتاء أرضروم قائلاً "...تدور على ألسنة السكان المقولة التالية.. سئل درويش من أين أنت قادم قال من جليدستان من أرضروم التي تظلم السكان.. فقيل له هل صادفت فيها موسم الصيف؟ فاجاب لقد أقمت فيها أحدى عشر شهراً وتسع وعشرين يوماً وكنت أسمع من السكان ان الصيف يأتي ولكنني لم أره قط"(٨).

ويستطرد في كلامه عن قساوة شتاء أرضروم فيذكر قائلاً "..سمعت عن قطة تجمدت عندما كانت تقفز من سطح بيت إلى آخر.. وبعد مرور ثمانية أشهر حينما تحسن الطقس وذابت الثلوج سقطت القطة على الأرض وهي تموء مؤاءاً غريباً قبل أن تنطلق بأقصى سرعتها وتختفي في أحد الأزقة"(٩).

وفي مكان آخر من رحلته يحدثنا أولياجلبي عن حادثة شاهدها حينما كان في العاصمة النمساوية فيينا ورغم المبالغة التي نتلمسها في حديثه، الا اننا نرى خياله الخصب واسلوبه السلس المفعم بالفنتازيا، وفي هذه القصة التي أسماها (عملية جراحية في النمسا) يذكر اولياجلبي انه كان هناك جريح مصاب برصاصة مستقرة في صدغه "..واثناء عملية اخراجها جلست أراقب العملية بعد موافقة الطبيب الذي بدأ بنزع فروة الرأس من جانبيه، قبل أن يبدأ باحداث ثقب في جانبي الرأس، تمكن بعدها من فصل عظم الجمجمة من وسطه بواسطة قطعة حديدية أشبه بالمنشار... حرك الطبيب بعدها رأس المصاب قليلا فسقطت الرصاصة من ثم قام بتنظيف مكان الجرح بواسطة اسفنجة قبل أن يعيد الجمجمة إلى حالتها الطبيعية.. وفي نهايتها أحضر المئات من النمل "دودة الحصان" ووضعها الواحدة تلو الأخرى في مكان الجرح، وبمجرد وضعها كانت تعض على الجرح ثم يقوم الطبيب بقص كل نملة من ظهرها وبذلك تم اغلاق مكان العملية وقد بدأ النمل بالتساقط فيما بعد بسبب تيبسها وبعد أسابيع شفي المصاب تماماً"(١٠)، وفي السياق نفسه يذكر أولياجلبي ان في مستشفى السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ -١٤٨١) في استانبول كان المرضى المصابون باللوثة العقلية (الجنون) يعالجون بعروض من الموسيقى والغناء(١١).

ومما سبق نستطيع أن نفسر عدم اهتمام اولياجلبي في بعض الاحيان بالحقيقة التاريخية؛ فقد يصف أحيانا رحلات لم يستطع هو القيام بها، فطموحه الأدبي غالبا ما كان يدفعه الى تسجيل حوادث ووقائع يدعي أنه قد رءاها وجربها بنفسه، في حين ان الوقوف عن كثب على تلك الروايات يجد ان اولياجلبي لم يكن يعرف عنها الا سماعاً، او من خلال ما نقله عنها من المصادر التاريخية والأدبية التي لم يأت على ذكرها(١٢).

وعلى الرغم من كل هذه التحفظات الا ان كتاب ((أولياجلبي سياحتنامه سي)) يقدم للباحث ثروة معرفية غنية تناولت جوانب مختلفة تاريخية وثقافية وعمرانية واجتماعية

وفلوكلورية للمناطق والمدن التي زارها. مما يجعله مصدراً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه في الدراسات التاريخية.

الرحلة من مدينة ملاطية إلى الموصل:

مع مطلع شهر آذار سنة ١٦٥٥ بدأ أولياجلبي رحلته باتجاه مدينة وان؛ حيث انطلق بمعية سبعة من الفرسان من مدينة اسكودار الى مدينة ملاطية ومنها انتقل إلى ولاية ديار بكر بعد مروره بمدينة باشخان ومنها وصل إلى مدينة ماردين التي سافر منها إلى مدينة بدليس قبل أن يصل إلى وان التي أكمل طريقه منها إلى ولاية الموصل(١٣).

والمتتبع لرحلة أولياجلبي من ملاطية إلى الموصل والتي ضمنها في المجلد الرابع، يستطيع ان يقف عند مجموعة من الملاحظات، نستطيع أن نوجزها بما يلي:

١) اهتمامه بالمنشآت العمرانية لا سيما القلاع، فكان يسهب في شرح تفاصيل كل قلعة كان يمر عليها، لذا نجد أنه قد أفرد صفحات كثيرة من رحلته للكلام عن قلعة ملاطيا وديار بكر وماردين وبدليس ووان من حيث هندستها وعناصرها المعمارية وموقعها الجغرافي ونمط وطريقة بناءها(١٤).

٢) توقف عند مورفولوجية المدينة العثمانية من حيث ديموغرافية السكان وتوزيعهم الأثني وتقسيمهم الطبقي وطريقة معيشتهم؛ مع الاشارة بالتفصيل الى الزعامات المحلية سواء كانت قبلية (عشائرية) أو دينية، وتأثيرها في المجتمع الذي كانت تعيش فيه من الناحيتين السياسية والدينية(١٥).

٣) تفرد اولياجلبي في هذه الرحلة بذكر معلومات لم يأت معظم الرحالة على ذكرها؛ وهي منابع المياه التي كانت موجودة في كل منطقة، حيث كان يقف عند كل نهر أو عين للماء ويسهب في ذكر التفاصيل عن طول النهر وتفرعاته وموارد منبعه وكمية المياه المتدفقة مع ذكر البحيرات التي كانت تتشكل منه، أو طريقة سحب الماء من الآبار وطبيعة الماء الموجود سواء كان للشرب أم لسقي البساتين والمزارع. فعلى سبيل المثال يذكر عن آبار مدينة ملاطية قائلاً "...مياه آبارها: لهم حوالي ألفي بئر ذوات ماء عذب للشرب ولسقي البساتين"(١٦).

وكذلك نلاحظ هذا الأمر حينما يصف عيون الماء الموجودة في مدينة ديار بكر حيث يقول" إن اهم عيون الماء في المدينة تسمى عين حمرة والتي تقع منابعها في غرب ديار بكر، وعمل السكان على حفر مجرى مائي طويل (كهريز) وايصاله إلى قلعة المدينة، ومن أسماء العيون في المدينة، عين علي، عين بالقلي (عين السمك)، عين ماء القلعة الداخلية، عين الحجارة الأربعة ، عين شق العجوز(١٧).

٤) ذكره الأساطيروالخرافات التي كانت شائعة في بين السكان من بطولات الفرسان وكرامات الأولياء والدراويش والتي بمعظمها تكون خارقة للعادة وبعيدة عن المنطق والحقيقة التاريخية(١٨).

والحقيقة كانت المظاهر الاجتماعية والاقتصادية الصورة الأبرز التي نستطيع أن نتلمسها في رحلة اولياجلبي حيث كان لهما ثقل كبير في كلامه عن المدن التي مر بها واصفا مجمل الحياة الاجتماعية من تعدد الاثنيات واختلاف اللهجات وتنوع النسيج الاجتماعي للسكان، مع وصف طريقة عيشهم من مأكل وملبس وعادات وتقاليد. وكذلك الحال بالنسبة للمظاهر الاقتصادية فتطرق اولياجلبي الى الزراعة التي كانت سائدة وتنوع المحاصيل المنتجة في المنطقة، ونمطية الحرف الصناعية التي كانت منتشرة في كل مدينة زارها وطبيعة الأسواق وتقسيماتها الحرفية، مع الإشارة إلى النشاط التجاري لكل مدينة من حيث المواد المصدرة وطبيعة العلاقات التجارية مع ما جاورها من مدن.

المظاهر الاجتماعية:

يتفق معظم الباحثين على أهمية كتب الرحلات في تغطيتها جوانب أغفلت عنها كتب التاريخ السياسي، لا سيما الاجتماعية للمناطق التي كانو يمرون بها، سواء عادات السكان وتقاليدهم والمناسبات الاجتماعية وطريقة أكلهم ولبسهم وغيرها من الأمور، لذلك لا غنى لكل باحث يروم دراسة الأوضاع الاجتماعية العودة الى كتب الرحالة.

ويمكن أن نلاحظ هذا الأمر بصورة جلية في رحلة اولباجلبي، حيث ينفرد بذكر معلومات تخص وصف أشكال السكان للمدن التي مر بها. فيذكر عن سكان مدينة ملاطية أنهم كانوا جميلي الشكل خشان القامة ويتراوح متوسط أعمارهم ما بين ٦٠-٧٠ سنة وهم أصحاء البدن ويذكر قائلا "..تبقى نضارة وجوههم واحمرارها على حالها حتى بعد تقدمهم في السن دون أن تسقط أسنانهم"(١٩). ويعزو سبب ذلك إلى اعتدال مناخ المدينة وهواءها النقي(٢٠).

ويتكون سكان ملاطية من الأتراك والتركمان والأكراد، وهم يتكلمون اللغة التركية والتركمانية المحلية والكردية ؛ وبسبب هذا التباين الأثني فقد تنوعت أزياء السكان ؛ فأغنياء المدينة من الرجال كانوا يلبسون جلود السنور والصوف الأبيض ، أما متوسطي الحال فلباسهم مكون من الجوخ وخامات ملاطية. أما فقراء المدينة فكانوا يلبسون الشال الأبيض. في حين كانت النساء الغنيات يلبسن الحجاب المنمنم ويغطين وجوههن بالوشاح. أما النساء الفقيرات فكن يلبسن الوشاح الأبيض والحجاب والطاقية، وجميع نساء ملاطية يلبسن أحذية حمراء وصفراء اللون(٢١).

ويقف اولياجلبي طويلاً عند سكان ولاية ديار بكر ويقول عنهم "..وجوه أهل هذه المدينة محمرة وأكثر سكانها متوسطوا القامة وأقوياء البنية ومتوسط أعمارهم ما بين ٧٠-١٠٠ سنة. أما أولادهم فهم بيض جميلون ذوو قامات فارعة، وأهلها ذو كلام لطيف وهم يطلقون النكات والطرائف بحيث لا تمل من سماعها"[٢٢] والكثير من سكان المدينة يقرضون الشعر ولغتهم التركية رقيقة وهي أشبه بلغة شعر "فضولي"[٢٣].

ويلبس أغنياء المدينة عباءة مصنوعة من قماش الأطلس، أما فقراءها فيلبسون الجوخ. أما نساء المدينة فيلبسن الحجاب الأبيض (الجبة) ويغطين وجوههن بالخمار ويضعن الطاقية المطرزة بالذهب والفضة، ويلبسن الأحذية الطويلة. ويسترسل أولياجلبي في ذكر محاسن نساء ديار بكر حيث يقول "..هن نساء عفيفات مؤدبات جداً ويلبسن الحلي الذهبية والفضية... ويمنع على نساءها الخروج من المنزل.. حتى ان بناتهم لا يتواجدن في الأسواق، وحتى لو سارت احداهن في السوق فسيوجه اللوم لها ولوالدها"[٢٤].

ويتكلم اهل المدينة التركية والعربية والارمنية والكردية، وهم يحبون الضيف ويحسنون معاملته، وما يميز لغتهم هي الرقة والبساطة في اختيار الألفاظ والتعابير، ويورد اولياجلبي حول هذا الموضوع رواية مفادها ان السلطان مراد الرابع كان يتمتع بسماع لغة أهل ديار بكر حيث يقول "..كان السلطان مراد خان لطيف معشر عذب الكلام، وكان يفضل لهجة أهل ديار بكر، وكان له نديم يعرف بقهوجي زادة، يقوم بالترجمة للسلطان.. وكان هذا يقوم بتنظيم الشعر بلهجة أهل ديار بكر من أجل تسلية السلطان"[٢٥].

وتشتهر المدينة بخبزها الأبيض والمعجنات مع القشطة وخبز الموز و العسل، كما تنتشر صناعة حلوى المن (المن والسلوى) [٢٦]. وتكثر في المدينة الحدائق والبساتين (المتنزهات) والتي يصفها رحالتنا قائلاً ".. لا نظير لجمالها في العالم". ففي بداية موسم الربيع يتوجه أهل المدينة الى ضفاف النهر، وتقوم كل عائلة بنصب خيمتها ويقومون بصنع العرائش من أغصان الأشجار التي يضعون عليها باقات الريحان. ويحب أهل المدينة النزهات ويستمر موسم الاصطياف في المدينة لمدة سبعة أشهر[٢٧].

ولدقة اولياجلبي في وصف الحياة الاجتماعية فقد قسم اللهجات المستخدمة في مدينة وان وما جاورها الى خمسة عشر لهجة هي: "زازا – لولو – هكاري – عوينكي – محمودي – شيرواني – جزيري – بساني – سنجاري – حريري – أردلاني – صوراني – خالني – جكواني – عمادي – روزكي "[٢٨]. ويورد الأعداد الكردية وما يقابلها بالعربية والتي كانت مستخدمة في منطقة قلعة ميافارقين وهي كالآتي:

١. يك
٢. دوو

٣. سي
٤. جار
٥. بينج
٦. شه ش
٧. حه فت
٨. هه شت
٩. نه ه
١٠. ده ه
١١. ياكزده
١٢. دوازده[٢٩]

والملاحظة المهمة التي يجب أن نتوقف عندها هي عن سكان مدينة بدليس، الذين يقسمهم رحالتنا بحسب أوصافهم العسكرية، وبحسب تابعيتهم لحاكم (خان)المدينة، لا سيما ان طبيعة المجتمع كانت عشائرية قبلية، حيث كانت تتبع حاكم المدينة ٧٠ قبيلة وعشيرة أكبرها هي عشيرة مودكي التي كانت بزعامة علي بك الذي كان تحت أمرته ٧٠ ألف فارس مسلح. وفي داخل المدينة كان هناك ٤٠ ألف فارس تابعين لعشيرة روزكي الذين يصفهم اولباجلي بان "..لحاهم مصبوغة بالحناء وهم مكحلي العيون"[٣٠].

وبحسب سجلات حاكم المدينة كان هناك ٤٣ ألف مسيحي يدفعون الجزية للخان، الذي كان يقسمها الى قسمين ؛ قسم يذهب كمصاريف للجيش، والقسم الآخر كان يذهب إلى خزينة الحاكم عبدال خان. وتوجد في ايالة بدليس ١٣ زعامة[٣١] و ٢١٤ تيمار[٣٢]. ويوجد في المدينة أيضاً قوات عثمانية من الانكشارية[٣٣] يبلغ تعدادها ٣ آلاف جندي كانت تخضع الى آغا الانكشارية واليوزباشي[٣٤].

ولباس أهل المدينة على نوعين؛ الاول اختص به اغنياءها حيث كانوا يلبسون سترة مصنوعة من جلد السنور. أما النوع الثاني وهو الأكثر شيوعا فكان مكون من الشروال الفضفاض المصنوع من قماش السياق او الجوخ. في حين كانت النساء يلبسن الحرير الأبيض مع الطاقيات المطرزة بالذهب والفضة [٣٥]. وتشتهر المدينة بصناعة خبز القمح (الرقاق)، والخبز المدور المعروف محلياً بـ(الاكمك)، والكاهي والقيمر والبقلاوة وكفتة لحم طائر القبج والجاجيغ –الجاجيك (الخيار واللبن) وكباب لحم القبج، وتشتهر نساء المدينة بصنع (عصير المشمش والرمان وشراب العسل وعصير البطيخ) [٣٦].

وتوقف اولياجلبي خلال كلامه عن انواع واوصاف طعام اهل بدليس عن انواع الاكل الذي كان يقدم في الولائم حيث يذكر قائلاً "...اهم الاكلات المشهورة التي كانت تقدم في الولائم

هي الرز (برنج) والذي يقدم على انواع عدة هي الرز بالزعفران والرز بالعود وكفتة الرز وشوربة الرز والبرياني والرز مع القاورمة[٣٧]، والرز مع المشمش[٣٨]، والرز مع لحم طائر القبج والمطبوخ بشراب الرمان"[٣٩].

وبعد بدليس توقف اولياجلبي عند سكان مدينة وان حيث نلاحظ ثمة فروقات في التشابه ما بين سكان هذه المدينة وما جاورها من مدن، فخلاف بياض الوجه الذي كان سحنة لآهل المدن التي مر بها رحالتنا، كان سكان وان غالبيتهم ذوو بشرة حنطية اللون وشعرهم مائل للسواد، حيث وصف ذلك بطريقته قائلاً "...يكون لونه – أي الشعر – ما بين الرز والماش"[٤٠]. كدلالة على اللونين الاسود والبني .

وبسبب اعتدال مناخ المدينة ونقاوة هواءها فغالبية أهلها يتمتعون بصحة جيدة. ومعظم أزياء سكانها مصنوعة من الجوخ ويضعون جلد السنور على اكتافهم ويلبسون حزاماً خفيفاً من الحرير يضعون فيه خنجراً، ويلبس الرجال عمامات كبيرة من قماش القطيف. اما النساء فينتعلن احذية صفراء اللون ويتزينين بحلى ذهبية وفضية في أعناقهن[٤١]. وسكانها من المسلمين والمسيحيين الذين كانت لهم ثلاث كنائس كبيرة[٤٢].

ولغة أهل المدينة هي التركية والكردية والسريانية. وتشتهر المدينة بصناعة الخبز الأبيض الذي يصفه اولياجلبي بأنه "...لا وجود له في أي مكان آخر.. والذي يطعم بالقيمر". كما تشتهر ايضاً بالمعجنات بلحم القبج. وشرابهم المفضل شراب العسل والدارسين وشراب التفاح[٤٣]. وفي المدينة عشرين متنزها يقضي فيه السكان اوقات فراغهم وأشهرها متنزه صخرة القنفذ الأبيض ومرج قرة قاسم ودير اندرواس وغيرها[٤٤].

طوائف دينية غريبة:

اليزيدية :

تعد الولايات الجنوبية من الدولة العثمانية من أهم مناطق التنوع العرقي والأثني والطائفي، حيث يستوطن مدنها سكان من مشارب عدة أتراك، عرب، أكراد، أرمن، سريان وغيرهم. وفيهم المسلمون والمسيحيون واليهود، وثمة ديانات غريبة كانت منتشرة بين طوائف سكانية محدودة، كانوا في غالبيتهم يسكنون في المناطق الجبلية البعيدة عن التمدن والحضارة، ومن هؤلاء اليزيدية.

شكل اليزيدية طائفة دينية اعترفت بها الدولة العثمانية كملة دينية[٤٥]. ويتفق معظم الباحثين على ان اليزيدية ديانة غريبة أحاطت نفسها بالكثير من الغموض، والسبب في ذلك على ما يبدو يعود الى ندرة المدونات التاريخية حول أصل هذه الطائفة ونشأتها[٤٦]. ناهيك عن الكتمان الشديد الذي كان يبديه اليزيدية تجاه اعطائهم المعلومات المتعلقة بديانتهم لغير

اليزيديون[٤٧]. اثارت هذه الطائفة اهتمام وانتباه معظم الرحالة الذين زاروا المنطقة لغرابة معتقداتهم وطقوسهم. واول اشارة وردت عنهم في المصادر تلك التي ذكرها ادريس البدليسي في كتاب (شرفنامه) حيث ذكر "ان سبعا من القبائل الكردية الكبيرة كانت كليا او جزئيا يزيدية الديانة"[٤٨].

التقى اولياجلبي في صيف عام ١٦٥٥ بجماعة من اليزيدية في جبل سنجار واثاره طول شعرهم الذي كانوا يطلقونه مثل النساء، حتى سمى جانبهم من الجبل – سنجار – بجانب (ذوي الشعر الطويل) [٤٩]. وبسبب غموضهم وغرابة معتقدهم كان وصف رحالتنا لهم فيه الكثير من القسوة, ويبدو من خلال النصوص التي اوردها عنهم عدم دقته في وصف طبيعة حياتهم وطقوسهم الدينية وقد يكون مرد هذا الامر انه لم يستقر في مناطقهم فترة طويلة وان معظم نصوصه عنهم نقلها عن طريق ماسمعه عنهم من روايات كانت متداولة بين سكان المنطقة الامر الذي يجعل الصورة التي نقلها في الكثير من جوانبها غير دقيقة ومجافية للواقع الاجتماعي والديني الذي يعيشونه.

حيث يذكر عنهم قائلاً "..هم وسخون جداً وغير نظيفين وشعرهم ممتلئ بالقمل وزيهم يسمى الشال وشيك –والمتعارف عليه محليا الشال وشبك – الذي يصنعونه من الصوف الملون ويلبسون عليه حزاما من الحرير وعمامتهم مكونة من الطاقية والحرير الملون[٥٠]. وبسبب طبيعة منطقتهم الجبلية الصعبة ووعورة طرقها فان معظم اسلحتهم من السيوف والخناجر والـ(جاب جاب) وهي شبيهه بالة القوس والنشاب والتي كان يستخدمها أهل مدينة عينتاب لرمي السهام وهم يشدونها على ظهورهم[٥١]. وهم رماة ماهرون في رمي البنادق لدرجة انهم "يستطيعون اصابة عين البرغوث ومرفق الجمل"[٥٢].

ونستطيع ان نؤشر طبيعة المبالغة والغرابة في نصوص اولياجلبي عن اليزيدية، حيث يورد روايات غريبة احيانا وغير عقلانية أحيانا أخرى، فعلى سبيل المثال يذكر ان اليزيدية يقدسون الكلاب، فعندما يولد لهم طفلاً يرضعونه حليب كلبة سوداء قبل أي شيء آخر[٥٣]. ولو رمى اليزيدي حجرا على كلبه فانه يقتل فوراً. فكل واحد منهم يملك كلباً والذي يطعمونه طعامهم حتى يشبع ثم يبداون بالأكل من بعده[٥٤]. ويحمل اليزيدية معهم الخبز والبصل و(الكشك) [٥٥]. وكل "من يضرب رأس البصل بيده ويحطمه فيجب تحطيم رأسه.. والغريب لديهم انه إذا مات أحد أغنيائهم فانهم يغسلونه بماء البصل ويملئون قبره بالبصل"[٥٦].

وتشتهر مناطقهم في سنجار بالعسل والعنب ولحم طائر السمان وكذلك الزبيب الذي يصدر قسما كبيراً منه الى ولايات الموصل وبغداد والبصرة والاحساء . وتكثر عندهم

أشجار التوت والتين،" وهم مشهورين بصناعة الحرير الذي ينتجونه من القز حتى ان الأقمشة الحريرية التي تنتج في قلعة ماردين هي من حرير اليزيدية" [٥٧].

المظاهر الاقتصادية:

شكلت الاوضاع الاقتصادية للولايات العثمانية صورة مكملة للأوضاع الاجتماعية، ولا سيما تفرد رحلة اولياجلبي بمعلومات مهمة عن تنوع المحاصيل الزراعية وطرق الصناعة ونمطية العملية التجارية ما بين الولايات العثمانية. ويمكن لنا أن نقسم المظاهر الاقتصادية الى ثلاث أقسام، الزراعة والصناعة والتجارة.

الزراعة: شكلت الزراعة العنصر الرئيسي في البناء الاقتصادي للولايات العثمانية التي مر بها اولياجلبي في رحلته. فقد وفرت طبيعة الأرض وخصوبتها ووفرة المياه عوامل ساهمت في تطور الزراعة في المنطقة وجعلها الحرفة الرئيسية لسكان المدن . والحقيقة ان رحالتنا أسهب في وصف الأراضي الزراعية ؛ إذ يشير الى خصوبة الأراضي المحيطة بمدينة ديار بكر التي كان يزرع بها سبعة أنواع من القمح "ذو الحبة الخشنة"[٥٨]، والشعير والبقوليات، وساهم التنوع المناخي للمنطقة في منح الفلاحين فرصة الزراعة على مدى فصول السنة[٥٩]. وأشهر فواكه المدينة البطيخ (القاوون)، الذي "لا مثيل له في اللذة"[٦٠]، والذي يتميز برائحته الطيبة وكبر حجمه حيث تزن كل واحدة منها ما بين ٤٠ – ٥٠ حقة وهي خضراء اللون[٦١]. ويصنع أهل المدينة من هذا البطيخ حلوى مختلفة بعد طبخه مع الدارسين والرز والقرنفل[٦٢].

وتميزت مدينة بدليس بكثرة بساتينها العامرة التي بلغ عددها العشرة آلاف بستان والتي تنوعت محاصيلها، وأشهر بساتين المدينة تعود للمسيحيين اليعاقبة[٦٣]. ومن هذه البساتين (قره مراد وعربلر وثيرك وحيدر) [٦٤]. ولكن أشهرها على الإطلاق بستان حاكم المدينة عبدال خان، الذي يصفه اولياجلبي بصورة جميلة قائلا "..وتوجد في بستان الخان جميع أنواع الورود والأزهار منها الريحان والبنفسج والسنبل والارجوان وزيت النبات ورقبة الجمل والكافور والشقائق والمسك الرومي والفل والقرنفل والياسمين والنرجس وبخور مريم. وكما تزرع فيه جميع أنواع الفواكه.. حتى أن السلطان مراد خان حينما زار الخان تملكه العجب وأطبق فمه"[٦٥].

الصناعة: ساهمت وفرة المواد الأولية وشيوع النمط الحضري في معظم الولايات العثمانية الى بروز صناعات مختلفة، أخذت بمرور الوقت تتبلور الى ظواهر حرفية دقيقة، تقاسمتها الولايات لتصبح كل واحدة منها مختصة بنمط حرفي معين ارتبط باسمها.

كانت مدينة وان تشتهر بحرفييها ومهندسيها، فكان فيها الخياطون المهرة، الذين الذين يقول رحالتنا انه يمكن معرفة خيوط ابرهم من خيوط القماش الذي يصنعونه لدقتهم

ومهارتهم[٦٦]. في حين كان أهل بدليس لهم الشهرة في صنعة الحدادة، "اذ كانوا ماهرين في صناعة السيوف التي عرف منها نوعان هما شيخاني ومقراني"[٦٧]. كما عرفت المدينة أيضا بمهنة الدباغة، حيث كان حرفييها يقومون بتصنيع الجلود ودبغها وصبغها بمختلف الألوان وعن ذلك يقول اوليا جلبي".. وهي صناعة مهمة خاصة بأهل المدينة اذ كان المسافرون يشترون منتجاتها لأخذها معهم كهدايا لدقة صنعها وجمالها[٦٨]. وكانت بعض خامات الجلود تصدر الى اوربا حيث كانت معروفة في أسواقها[٦٩].

وعرفت ديار بكر بوجود المصانع والورش الكبيرة التي بلغ عددها الستة والتي تسع الواحدة منها الألف عامل. وأشهر صناعاتها هي صناعة الأحذية[٧٠] وصناعة النحاس بوجود المصانع ويشير اولياجلبي الى ملاحظة طريفة حول نحاسي المدينة مفادها انهم كانوا يعملون على أنغام الموسيقى وهم يغنون المقام، حيث ذكر ذلك قائلاً "..الحدادون يضربون مطارقهم حسب ألحان الموسيقى وهم يغنون السيكا والحسيني.. الى درجة ان المارة يقفون لسماع هذه الألحان.. وهم بارعون في صناعة الأواني النحاسية"[٧١].

التجارة: تشكل التجارة المظهر الأخير من مظاهر النشاط الاقتصادي للولايات والمدن التي مر عليها أولياجلبي في رحلته – مدار دراستنا – ،فقد لعب الموقع الجغرافي للمنطقة في جعلها عقدة مواصلات ما بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. ويمثل السوق الوحدة الأساسية لآي نشاط تجاري ؛ حيث تجري فيه عمليات البيع والشراء والتبادل السلعي لمختلف البضائع. وهذا ما نقله لنا رحالتنا في وصفه أسواق المدن التي مر بها.

كانت أسواق ديار بكر عامرة بالبضائع، وما يميز أسواقها هو التخصص السلعي، فكل سوق فيها تخصص بتجارة سلعة معينة. وبلغ عدد أسواق المدينة سبعين سوقاً منها: سوق الجواهرجية وسوق الصاغة وسوق البزازين وسوق القزازين وسوق البرذعجية[٧٢]. كما كما كان في المدينة سوقاً خاصاً للخيل وهو على شكل بناية كبيرة، حيث كانت تجري فيه عمليات بيع وشراء الخيل الأصيلة وهذا السوق كان محميا بحراس خاصين يعينهم حاكم المدينة. وكل أسواق المدينة مسقفة ولها بابان تفتحان صباحاً وتغلقان عند المساء[٧٣].

وازدهر النشاط التجاري في مدينة بدليس حتى وصل عدد الدكاكين الموجودة فيها ١٢٠٠ دكان. وأكبر اسواقها هو سوق (خسروباشا)، ويصف اولياجلبي هذا السوق قائلاً "..دكاكين هذا السوق مصبوغة باللون الأبيض وهي مرتبة بطريقة رائعة.. وكل من يدخل هذا السوق يظن انه في سوق كليجة في مدينة بورصة.. وهناك سوق للصاغة وهو مرتب جداً وهناك سوقان للدباغة"[٧٤]. ومن الأسواق الكبيرة في المدينة (سوق العلوة)، الذي كان يخضع لسلطة الخان الذي كان يشرف عليه. حيث كانت ترد إليه البضائع من مختلف المناطق والمدن، كالحرير والأقمشة الفاخرة والمأكولات والفواكه المجففة والمشروبات المختلفة. وتوزن

البضائع بميزان يخضع لضريبة نسبتها ١٠% تستقطع من قيمة البضاعة تعود لخزينة الخان[٧٥].

أما مدينة وان فكان فيها "..قيصرية عامرة يتواجد فيها كل شيء.. كما أن أسواق الجامع وخسرو باشا وسوق الخفافين هي أسواق مزدحمة"[٧٦]. والحقيقة أن أي حديث عن التجارة في العهد العثماني بصورة عامة يبقى ناقصاً دون الإشارة إلى موضوع متمم لها ومرتبط بها ارتباطاً وثيقاً ونعني بذلك (الخانات) [٧٧]. ومما لا يخفى أنها لعبت دوراً مهماً ورئيساً في العملية التجارية؛ فكل جزء منها قد صمم ليؤدي وظيفة معينة لها علاقة بتسهيل التجارة والقائمين عليها، إذ كانت بمثابة محطات تجارية تقف عندها القوافل للتجارة والتبادل السلعي[٧٨].

ففي ديار بكر وجدت عدة خانات مزدحمة بالمسافرين أشهرها (خان حسني باشا) وقرب مدينة ماردين، كان يوجد خان كبير عرف بخان التجار وهو جميل البناء وضم غرف للحرفيين[٧٩]. اما في مدينة بدليس وجدت تسعة خانات هي: خان مطاقان وخان الشاه وخان الخاقونة وخان خسرو باشا وخان شرفخان والخان الكبير على جسر المدينة[٨٠].

الخاتمة

يعد اولياجلبي اشهر الرحالة العثمانيين على الاطلاق ، فعلى مدى قرابة الخمسين عاما قام برحلات واسعة شملت مدن كثيرة في داخل الدولة العثمانية وخارجها ، وضمن تفاصيل رحلاته في سفر ضخم اسماه اوليا جلبي سياحتنامه سي والذي يقع في عشر مجلدات . وقد اعتمدت الدراسة على المجلد الرابع الذي يتضمن رحلته من ملاطية الى الموصل لتشكيل الصورة التاريخية للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للولايات والمدن العثمانية التي مر بها .

لقد تفرد اوليا جلبي في رحلته بذكر معلومات مهمة (طريفة وغريبة) لم تأتِ المصادر التاريخية على ذكرها ؛ فاتى على ذكر البنية الاجتماعية والتقسيمات الاثنية التي شكلت النسيج المجتمعي للمدينة العثمانية ؛ من طبقات السكان وقومياتهم ومرجعياتهم الدينية، مع الاشارة الى الطوائف الدينية الغريبة التي كانت موجودة في المناطق التي زارها .كاليزيدية التي اسهب في الكلام عنها . كما توقف اولياجلبي عند العادات والتقاليد التي كانت سائدة من اعراف ومناسبات واعياد اجتماعية ،وكذلك ازياء السكان وطريقة معيشتهم واكلهم وملبسهم بل وحتى الاسماء التي كانت شائعة .

كما كان للاوضاع الاقتصادية نصيبها في رحلة اولياجلبي .فالنشاطات الاقتصادية للولايات العثمانية اثارت انتباهه ؛ فتوقف عند نمط الزراعة التي كانت سائدة واهم المحاصيل التي كانت تنتجها كل مر بها . واشار ايضا الى الصناعات التي كانت سائدة وتقسيماتها الحرفية وتخصص كل مدينة بحرفة ارتبطت باسمها . ولم ينسى اولياجلبي التجارة وما يرتبط بها من فعاليات ؛ فتوقف عند كل مدينة ومانشتهر به من تجارة مع ما جاورها من مدن وانواع البضائع والسلع المتبادلة بينها ، مع الاشارة الى العمارة الخدمية المكملة للعملية التجارية وهي الخانات والتي تحدث عنها وعن تفاصيلها في كل مدينة.

الملحق (١)

اسماء الاعلام (الرجال والنساء) التي كانت شائعه في المناطق التي مر بها اوليا جلبي :

١ – الرجال

بكتاش اغا	اراز	رستم	زوهراب	اولان ابارى
حاشي اغا	نذير	فكري	خندان	حيدر اغا
قوتلو اغا	بشير	سليمان	شاكر	بشارت اغا
عطا بك	هونر	كرار	كاظم	صالحان اغا
رضا بك	سرور	ذو الغجام	شاسوار	زجري اغا
شادي بك	دلاور	ذو الفقار	جان ويردي	سيفي اغا
ملا برونجي	ملا خليلي	مراد	جالاب ويردي	شرف بك
ملا شقاقي	ملا حبيبي	خودا ويردي	الله ويردي	ضياءالدين بك
بدرالدين بك	شمس الدين بك	علمشاه بك	يشار بك	بهلوان اوغلو
دمرجي اوغلو	قليج اوغلو	كرم الدين اوغلو	برهان اغا	جندوان اوغلو
اسد بك	غضنفر بك	يوسف	اورنك	اسكندر
قباد	برويز	لاوند	شاه قران	توغر اغا

٢ – النساء :

حواء	هوما	تتنزيله	كليمه	عالمه
نركيز	عاتكة	فاطمة	رقية	أمينه
كزابان	كلثومة	زليخة	مشكورة	زخرفة
سنية	هاشمه	خديجة	تابنده	كولشخانه
سوميله	كولستان	ترفيل	ثابته	افتاد
فداية	وردية	شاخمة	مالكة	ياسمين
فخرية	رمرخان	أكلنجة	شمامه	ده لارم
كولي	كوكبان	عائشه	باغجه نان	ثريا
دلفكار	بريشان	خالصة	وسيمة	زوزوبان
بري بوي خانم	مسكه بار	شاه جوبان	سردي بوي	برنجيه
دلارم	درية	اومهان	شاكرة	دمرخان
نوريان	جوهر	رومايه	اسما خان	ماهيه

الملحق (٢)

الجوامع والتكايا والمزارات التي جاءت في الرحلة

ديار بكر : تكية الشيخ الرومي –تكية بالقلي – تكية ابيارية – مرقد الشهيد ابن خالد بن الوليد.

ميافارقين : مزار الشيخ نجم الدين الجوراني – مزار سيف الدولة الحمداني .

بدليس : جامع السلطان شرف الدين – جامع بدليس – جامع سراج الدين خان –مسجد القريشي – مسجد علمدار – مسجد ممي دده – مسجد شيخ العرب –مسجد الشيخ ابراهيم – مسجد عين البرود – مسجد ابن الافضل على ضفة نهر حصول – مسجد الشيخ حسن – مسجد كتخدا عمر – مسجد خسرو باشا – مسجد مغارة – مسجد زيدان – مسجدملا قاسم .

وان : مرقد خسرو باشا – مرقد سعيد محمد الثالث تكلي باشا – مرقد قربا بابا .

الحمامات :

دياربكر : حمام ابيارية – حمام ايشيريك – حمام اسكندر باشا – حمام زبلجي – حمام ماردين – بيقلي باشا (الحمام القديم) – حمام بهرام باشا – حمام الدفتردار – حمام جرداقلي – حمام البوابة الجديدة – حمام داخل القلعة .

ملاطية : حمام مصطفى باشا – حمام الجة – حمام قومجك – حمام علي المصري – حمام النهر – حمام بارام .

بدليس : حمام سراي خان – حمام بداغ – حمام شرف خان – ديانلي – حمام خسرو باشا .

وان : حمام سلطان – حمام المنخفض .

مؤلفى :

اوليا چلبى محمد ظلى ابن درويش

طابعى : احمد جودت

معارف نظارت جليله سنك رخصتيله

ايلك طبعى

درسعادته « إقدام » مطبعه سى

١٣١٥

الهوامش

.(1)Suraiya Faroqhi ,The Ottoman Empie and the world around it (new york ,2004) p 126.

(2)Ali Berat ALptekin , Evliya Gelebi seyahatnamesinden segmeler (Ankara , 2005) s17 .

(3)E.A.s.18.

(4)Aufar Guclu , Evliya Geleba seyahatnamesi (Istanbul,1947) p 312.

(5)The Encyclopaedia of Islam, vol 11 (leiden , 1991) pp 717 – 718.

(6)ibd, p.719.

(7)alptekin , age ,s 34 .

(8)A E,SS 104 -108.

(9)S ,109.

(١٠) نصرت مردان ،" الرحالة اوليا جلبي واليونسكو"، مجلة الاخاء ،العدد ٢٤٧ –٢٤٨، مايس – ايار ٢٠١٠ ، ص ص،٨–٩ .

(11)alptekin ,AGA ,s 122

(12)The encyclopaedia of islam , pp 719 -721 .

(١٣) اوليا جلبي محمد ظلي ابن درويش ، اوليا جلبي سياحتنامه سي، دردنجي جلد ،طابعي احمد جودت ، ايلك طبعي ، درسعاتده "اقدم " مطبعه سي (استانبول ، ١٣١٥) ص ص ٢ – ٧ . وسنشير اليه لاحقا باسم سياحتنامة.

(١٤) المصدر نفسه ، ص ،ص :٢٤، ٥٩ ، ٦٤ ،٧٦ ، ٨٠ ،١٣٧ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ،ص :١٦–١٧ ، ٣٨ – ٣٩ ، ٨٨–٨٩ ، ١٨٣–١٨٨ .

(١٦) المصدر نفسه ،ص ،ص : ١٤–١٥ ، ٤١–٤٨ ، ٧٨ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ص: ٣٦ –٣٨ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ، ص :١١٨ ، ٦٣ –٦٤ ، ٢٤٧ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص :١١ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص : ١٢ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص: ١٢– ١٣ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص : ٣٩ .

(٢٣) فضولي البغدادي : هو الشاعر التركماني محمد بن سليمان بياتلي ولد في بغداد سنة١٤٩٤ وكان من اهم شعراء زمانه حيث كان يقرض الشعر بثلاث لغات العربية

والتركية والفارسية وله المام بعلم الهيئة والهندسة وفي اواخر عمره عاش في مدينة كربلاء وفيا توفي بمرض الطاعون عام ١٥٥٦. لمزيد من التفاصيل انظر :عبداللطيف بندر اوغلو ، مطلع الاعتقاد والقصائد العربية للشاعر فضولي البغدادي (بغداد ، ١٩٩٤) ص ص :٥ – ٩ .

(٢٤) سياحتنامه ، ص ص : ٣٩–٤٠ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ص:٤٩–٥٠ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص : ٤٠ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ص : ٧٤–٧٥ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص : ٧٥ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص : ٩٢ .

(٣١) الزعامة وهي ارض زراعية كانت تمنح لكبار موظفي الدولة من المدنين والعسكرين من قبل السلطان العثماني او من ينوب عنه عادة البكلر بكي وكانت تقسم بحسب ماتدره من وارد سنوي وصاحب الزعامة يسمى (زعيم او زعماتجي) ومعطم اصحاب الزعامة كانو ممن قدموا خدمات للسلطان العثماني وفي وقت الحرب كان صاحب الزعامة يقدم للدولة العثمانية جنديا مسلحا عن كل خمسة الاف اقجة. ينظر : حسين مجيب المصري ، معجم الدولة العثمانية (القاهرة ، ٢٠٠٤) ص ٦٩ ؛ ش .سامي ،قاموس تركي ، (استانبول ، ١٣١٧) ص ٦٨٥ ؛ عماد احمج الجواهري ، " حيازة الاراضي والتطورات الاجتماعية في فلسطين في مطلع العهد العثماني " ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٢٥ تشرين الثاني _ كانون الاول ١٩٧٧ ، ص ٤٩ .

(٣٢) التيمار :بكسر التاء كل ارض زراعية تغل في العام مالايقل على العشرين الف اقجة وصاحب الارض يسمى تيمارجي وكانت تمنح من قبل السلاطين العثمانين الذين كانو يفرضون على صاحب التيمار تقديم عدد من الفرسان بحسب الوارد السنوي للتيمار . المصري ؛ المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٣٣) وهي القوات العسكرية العثمانية وكان الجيش الانكشاري يقوم اساس على تجنيد ابناء رعايا السلطان من المسيحيين الذين مكنت الفتوحات العثمانية في اوروبا عن الحصول على عدد كبير منهم ويذكر المؤرخون العثمانيين ان السلطان اورخان ١٣٢٦ – ١٣٥٩ هو اول من جند الف من هولاء ووضع قانونا خاصا بهم . ويقسم الجيش الانكشاري الى ثلاث فرق هي : جماعت اورطه لاري و الثانية سكبانلر والثالثة اغابلوكلري وفي

عهد السلطان محمود الثاني ١٨٠٩ – ١٨٣٩ استطاع القضاء على الجيش الانكشاري حينما شعر بانهم فقدو مكانتهم واصبحو اداة لهدم الدولة لاسيما وانهم رفعو راية العصيان ضد السلطان فقضى عليهم السلطان العثماني في حزيران ١٨٢٦ .لمزيد من التفاصيل عن موضوع الانكشارية يمكن الرجوع الى :محمد فؤاد كوبرلي ؛ قيام الدولة العثمانية ، ترجمة احمد السيد سلمان (بيروت ، ١٩٦٧) ص ص ١٨٦ وما بعدها ؛ هاملتون جب و هارولد بوون ؛ المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، مراجعة احمد عزت عبد الكريم ، ج ١ (القاهرة ، ١٩٧١) ص ٨١ ومابعدها ؛ هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب الحديث ١٥١٦ –١٩١٨ من الفتح العثماني الى نهاية الحرب العالمية الاولى (عمان ، ٢٠١٠) ص ص ؛ ٧٨ –٨٦ .

(٣٤) سياحتنامه ، ص ص : ٧٨ –٨٦ .

(٣٥) المصدر نفسه ؛ ص١٠٧ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ص ١٢١ –١٢٢ .

(٣٧) وهي اكلة شعبية معروفة في العراق وتسمى (تبسي او طاوة) ، وهي مكونة من اللحم والطماطم والبصل .

(٣٨) وهي من الاكلات المشهورة ايضا وتعرف في بعض مناطق العراق باسم (القيسي) وفي مناطق اخرى تسمى (الطرشانه) .

(٣٩) سياحتنامه ، ص : ٩٠ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص : ١٢١ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص : ٩٢ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص :٩٣.

(٤٣) المصدر نفسه ، ص :١٢١ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص : ١٢٢.

(٤٥) دبليو ويكرام ، مهد البشرية – الحياة في شرق كردستان ، ترجمة جرجيس فتح الله (بغداد ، ١٩٧١) ص ، ٨٩ .

(٤٦) سجى قحطان محمد علي قبع ، الموصل في كتابات الرحالة في العهد العثماني ٠ ١٥١٦ – ١٩١٨ (اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ن كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠١٠) ص ٢٤٩ .

(٤٧) آزاد سعيد سمو ، اليزيدية دراسة حول اشكالية التسمية (دمشق ، ٢٠٠٩) ،ص ص ، ٥–٨ .

(٤٨) شرفخان البدليسي ، شرفنامه ، المجلد الاول ، ترجمة محمد علي عوني (دمشق ،

٢٠٠٥) ص ، ٢٨.

(٤٩) سياحتنامه ، ص : ١٥٧ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص :١٥٨.

(٥١) المصدر نفسه ، ص :١٥٩ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص :١٦١ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص :١٦٢ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ص :١٦٢- ١٦٣ .

(٥٥) وهي اكلة شعبية تصنع من خلط اللبن الرائب مع البرغل حيث تصاغ على شكل قطع مدورة وتوضع تحت الشمس لتجفف وعادة مايطبخها الاهالي في الشتاء وتسمى هذه الاكلة في بلاد الشام باسم الطرخين .

(٥٦) سياحتنامه ، ص : ١٦٤ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ص : ١٦٥ .

(٥٨) المصدر نفسه ، ص :٣٨ .

(٥٩) المصدر نفسه ، ص :٣٧ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص :٣٨.

(٦١) المصدر نفسه ، ص :٣٩.

(٦٢) المصدر نفسه .

(٦٣) المصدر نفسه ،ص : ٩٩ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص : ١٠٠ .

(٦٥) المصدر نفسه .

(٦٦) المصدر نفسه ، ص:١٨٧ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص :١٢٠ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص :١٢١.

(٦٩) المصدر نفسه .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص :٤٩ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص :٣٩ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ص :٣٨ .

(٧٣) المصدر نفسه .

(٧٤) المصدر نفسه ، ص :٩١ .

(٧٥) المصدر نفسه .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص : ١٨٧ .

(٧٧) مفردها خان وهو لقب تركي ، وفي الاصل هو اختصار لكلمة قاغان وبالعربية خاقان وهو لقب للسلطان العثماني ، وقد تسمي بهذا اللقب حكام الشعوب التركية القديمة . ويبدو ان هذه الكلمة ظهرت لأول مرة في العصر الاسلامي في نهاية القرن الرابع الهجري واستعملت بمعنى الحاكم الاعلى ، ثم بمرور الوقت حلت كلمة خان محل قاغان او خاقان ؛انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مجموعة من المولفين ، مادة خان – خاقان ، المجلد ٨ ، العدد ١ ،ص وص : ١٩٢ و ٢٠٤ .

(٧٨) هشام سوادي هاشم ،المواصلات التجارية في العراق ١٨٣١–١٩١٤ (رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ،١٩٩٧) ص : ٤٥ .

(٧٩) سياحتنامه ، ص: ٣٨ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ص :١٢١–١٢٢ .

Olia Chalabi's journey from Malatya to Mosul as a source for studying the social and economic conditions in the Ottoman Empire

Dr.Husham Swadi Hashim

Ninevah University

Abstract

Evliya Celebi is considered the most famous Ottoman traveler ever, and his extensive journey occupies an important place in the Ottoman historical literature. Evliya Celebi traveled for fifty years during which he visited many cities and states inside and outside the Ottoman Empire; From eastern Anatolia, the Black Sea and the Rumaili, to the Levant, Palestine, Iraq, Hijaz, Egypt, Sudan and Abyssinia; In addition to his trips to Austria, Holland, Sweden, Denmark and Spain, he recorded what he saw in a famous book he called "Olia Jalbi Seiyatnam Si", which is located in ten huge volumes. In fact, travel books occupies great importance in providing historical and geographical studies with important information about the areas that the travelers passed through. Hence, we find that the trip of Evliya Chalabi provided fertile material for students of history, especially talking about it; Through the scientific material he recorded in his travels about the cities he passed through, the nature of the societies in which he resided, the classes of the population, their customs and social traditions, such as occasions, holidays, fashion, dialects, and architectural elements of service architecture found in cities. As well as mentioning the economic activity of agriculture, industry, trade and the associated facilities that complement the economic process. Which gives this type of writing importance in providing historical texts and information that political history books overlooked.